تيك توك...بوم

أنا مصدوم، مصعوق... يقولون " الّي بعيش كثير، بشوف كثير". منذ أسبوعين وبمحض الصدفة أرسلت لي صديقة مقطعًا أخذني إلى ما يُسمّى بلغة التواصل الاجتماعي " تيك توك " وهو تطبيق صيني يعتمد على توثيق لحظات من حياتنا من خلال تسجيل أفلام لمدة دقيقة واحدة كأقصى حد.

أعترف أنني لم أجرب هذا التطبيق سابقًا، ولكن وصل إلى مسامعي بعض الادعاءات والانتقادات حول هذا التطبيق وكان آخرها محاولة الرئيس الأمريكي السابق " ترامب " حَظْرها كونها من صنع دولة الصين المكروهة عنده على خلفية ادعائه أن الصين قد زرعت فيروس كورونا في العالم كجزء من مؤامرة للسيطرة على الاقتصاد العالمي.

لم نولِ أي أهمية لأقوال " ترامب " بل أردنا أن نصدق العكس فهو كاره للعرب والإسلام وعنصري من الطراز " الأبيض".

سيقول لي البعض بلا مبالاة، " أصبحنا لا نتفاجأ من شيء في هذه الأيام " لكن اعترف أنه تفاجأت ممّا رأيت. قد أكون ساذجًا في توقعاتي من أبنائنا وخاصة بعد سنوات طويلة في سلك التربية والتعليم. هل ذهبت جهودنا سُدى، هل طارت آمالنا وتبعثرت كلماتنا في مهب الريح ؟

امتازت مشاهدتي للأفلام في " التيك توك " بعدة مجالات، أولًا: أفلام نرى فيها مجموعات من الشباب الذين يملكون السيارات الفخمة الثمينة التي لا أشكّ أدنى شك أنه قد تم شراءها بأموال "مشروعة"، يعني نحن نعمل طوال حياتنا ورغم ذلك نشتري سيارات عادية معظمها يد ثانية وأغلبها سيارات يابانية أو كورية الصنع، وإذا بالغنا فإننا نشتري جيب "تويوتا أو هيونداي". أما هُم فما شاء الله لم يبلغ أحدهم منتصف العشرينات حتى تراه يركب السيارات الفارهة من أغلى الشركات العالمية، ويخرج ذلك الشخص التافه الذي يبدأ حديثه بالصفير "هاي راكب مرسيدس بينز...." وما إلى ذلك من تفاهات. ومن هنا تبدأ السباقات الليليّة المصوّرة حيث يتم تثبيت الكاميرا على العداد الذي يتعدى 200 كيلومتر بالساعة. ثم يأتيك الأشخاص الذين يضعون

أمامك "صفطات" من النقود متباهين بإنجازاتهم وأرباحهم الكبيرة. لا شكّ لدينا أن هؤلاء الشباب كانوا من بين الأطباء والعلماء الذين اكتشفوا مصل التطعيم "فايزر" المضاد لفايروس "كورونا".

أنا متأكد أنكم تبتسمون أو تضحكون، "شر البليّة ما يضحك". انتظروا لم ننته بعد، إذ يخرج إلينا الأزواج الذين يمثّلون المواقف التي من المفروض أن تكون ساخرة ومضحكة، حيث الزوج ملتهٍ بهاتفه بينما تقوم الزوجة بلباسها "المُحتشم" بتوجيه الأسئلة التافهة له فيجيبها بالإجابات السخيفة التافهة مثلهما. هل أصبحنا نستعرض نساءنا من أجل الشهرة؟! أكيد العائلة تفتخر بهؤلاء ويهدونهم "اللايكات" و "القلوب" من كل حدبٍ وصوبٍ.

ثم ننتقل إلى الأهم، إلى الموضوع الرئيسي، إلى الشغل الشاغل لعالمنا العربي والمحلي، إلى موضوع الحب والجنس، حيث أصبح هذا التطبيق المنبر الأساسي، والموسوعة العلميّة لنشر "التوعية" الجنسية للشعب العربي المتعطش لهذه المعلومات، معلومات نتلقّاها نحن وأولادنا من مجموعة من الفتيات اللواتي مررن بعمليات "ترميم" من أعلى رؤوسهنّ وحتى أخمص أصابعهن، مستعملات بذلك مصطلحات "علمية" ولغة بحثية اكسفورديّة، حيث التركيز بالأساس على التضاريس الجغرافية في أجسادهن من مرتفعات وتلال. ناهيك عن المتحولين والمتحولات، أشكال وأنواع لم نعهدها سابقًا ولا حتى بالأحلام. هل أصبحنا عاجزين إلى هذا الحد؟ ماذا يحدث لنا ولأولادنا في شهر رمضان، شهر العبادات والصلوات وكبح الشهوات، هل لهذه الدرجة "تمسحنا" وفقدنا حواسنا؟ الجواب نعم بدون شك.

كل ما وصفته سابقًا يبقى نظريًا، يعني ممكن التغاضي عنه بأن تقوم بحذف التطبيق، "ولا من شاف ولا من دري" ونعود إلى سباتنا العميق كأن شيئًا لم يكن. ولكن تركت الأهم للنهاية، قمة الإبداع والتقدّم وهو تصوير الأعمال وإخراجها وتحريرها على الملأ.

كنا نرى الأحداث الأخيرة خلال شهر رمضان بمنطقة باب العامود والبلدة القديمة. أعترف أنّ هذا الأمر ليس من ابتكار شبابنا العرب، ولكننا أبدعنا به وتفوقنا. فهذا شاب عربي يقوم بصفع فتى يهودي بالقطار السريع، في حين يقوم صديقه بالتصوير مع التعليق على الحدث، ويقوم هذا الشخص برفع الفيلم على التطبيق مع

خلفية موسيقية دراماتيكية من مسلسل "وادي الذئاب" التركي متقمصًا شخصية البطل "مراد علمدار"، مثيرًا بذلك الفتن بين العرب واليهود في هذه الأيام العصيبة الحساسة.

وهذا يذكرني بقصةٍ من تاريخ العرب حيث روى ابن الجوزي " لَطَمَ (صَفَعَ) رجلٌ الأحنف بن قيس (كان زعيم قومه، ويضرب به المثل بالحِلمِ والتسامح)، فقال لهُ: لِمَ فعلت هذا؟ فقال الرجلُ: جُعِلَ لي جُعْلٌ (أي أُعطيت مبلغًا من المال) على أنْ أَلْطُمَ سيد بني تميم، فقال الأحنفُ: ما صَنَعْتَ شَيئًا، عليك بحارثة بن قدامة (كان فارس تميم)، فإنه سيد بني تميم، فانْطلقَ، فَلَطَمَهُ، فَقَطَعَ يَدَهُ وعلَّقَها برقَبَته، فنال جزاءه.

وهذا الشاب تم التعرف عليه واعتقاله من قبل الشرطة.

العربي يصوّر واليهودي يصوّر "وكلٌ يغني على ليلاه"، هل هكذا نريد أن يتصرف شبابنا في هذا الشهر الفضيل؟! ماذا عن الشاب الذي طلب منه زميله أن يقوم بعمل مُشين بفتاة وتصويره مرافقًا بضحكات أصدقائه المتعالية. هل هذه هي تربيتنا وأخلاقنا؟ لم يبقَ لهؤلاء الشباب إلّا أن يقوموا بحرق بيوتهم وتصويرها حتى يحصلوا على إعجاب الجماهير. والأدهى من ذلك أنهم أصبحوا من شخصيات "التيك توك" ويتم دعوتهم لعمل دعاية لمحلّات ومنتوجات مختلفة، يعني تعدّى الأمر من التسلية والضحك وأصبح مهنة يتقاضى البعض منها أموالًا وأرباحًا لا يُستهان بها.

نعم أنا غاضب، ولو استطعت فلن أتوقف عن الكلام. هل تذكرون قصتي لكم في مدونة سابقة عن الشخص الذي تبول في بئر زمزم بهدف الشهرة؟ نعم يتبوّل أبناؤنا عبر هواتفهم من أجل الشهرة. لكن النتيجة والحساب لا يأتي عبر فاتورة الهاتف، إنما يأتي عبر بيوتنا وأجيالنا الذين سيدفعون ثمنًا باهظًا عاجلًا أم آجلًا.

دمتم بكل الخير

25-04-2021

أ.أيمن جبارة